مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

انطلقت ممارسة التفسير منذ قرون بعيدة وجرى فيها دفع هائل؛ ما أوجد عددًا كبيرًا جدًّا من التفاسير، وحتى نحسن الإحاطة بالواقع التطبيقي الماثل لهذه الممارسة (التفسير من حيث هو فعْل)؛ فإننا نحتاج لعلم (علم التفسير) يقوم على صناعة الوعي بهذه الممارسة في ميدانها التطبيقي القائم، ويكون حاضنة لمباحثة قضاياها كافة. يحاجّ هذا الكتاب عن أن هذا العلم لم تجر العناية بتأسيسيه لا قديمًا ولا حديثًا، وأن اصطلاح علم التفسير حين يذكر فلا يشار به لمثل هذا العلم، ولكنه يستعمل للدلالة على أمور أخرى ينبغي التخلي عن وصفها بهذا المصطلح، وأن الحركة البحثية حول التفسير تنتظم في جملة مسارات بحثية متفرقة وبعضها يُعدّ علومًا خاصة، ما أورث هذه الحركة إشكالات على صعد كثيرة، ومن هاهنا يحاول هذا الكتاب التضلع بمهمة تأسيس علم التفسير وبلورته ليكون حاضنة معرفية لصناعة الوعي بالممارسة التفسيرية في واقعها التطبيقي القائم ودراسة مختلف قضاياها، ما يعين على تطوير حركة البحث في التفسير وإثرائها ورفع حالة التشرذم الحاصلة فيها، وغير ذلك مما سيفصله الكتاب.

إن إقامة العلم تستلزم ولا بد بلورة نظرية لهذا العلم وتحديد طبيعة موضوعه العلمي والقضية التي سيشتغل بها، وبيان وجه تمايزها، وغير ذلك، غير أن حضور هذا التصور النظري للعلم غايته إبراز العلم في ذاته، وأما انطلاق العلم نفسه في الواقع وفضاء التداول فلا يتم إلا من خلال مقرر تعليمي أوّلي لهذا العلم، فبهذا يتبلور العلم

في واقعه الجديد بصورة حية ويحصل تدريسه للطلاب بشكل فعلي، ومن ثم تبدأ رحلة تفريخ الدارسين الذين ينخرطون في هذا العلم ويشرعون في التشاغل بقضاياه ومتابعة القول فيها، ما يؤدي لنمو العلم تدريجيًّا، وأن تأخذ مادته في التراكم والزيادة.

وبناء مقرر درسي للعلم يستلزم ولا بد حضور حركة بحث أوّلي في العلم نفسه ومحاوره، وتقديم اجتهادات بحثية تأسيسية في هذه المحاور، بحيث تَكون مادتها لاحقًا نواة لبناء المقرر التعليمي للعلم.

وقد راعينا في هذا الكتاب ما بدا لنا ضرورته في تأسيس العلوم؛ حتى يتم لنا تأسيس علم التفسير بصورة مناسبة تعين على ظهوره العملي في دائرة العلوم القرآنية، فحرصنا على بلورة علم التفسير بصورة نظرية تجريدية وتحديد طبيعة موضوعه وغايته ومحاوره... إلخ، وكذلك طرقنا باب البحث في هذه المحاور بشكل عملي، وقدمنا فيها جملة اجتهادات يمكن استثمارها والاتكاء عليها في نسج مقرر تعليمي أوَّلي لهذا العلم.

ومن هاهنا جاءت مادة هذا الكتاب في هيئة عدة بحوث، يمثل أولها التأسيس النظري للعلم، وبقيتها تشاغُل عملي بمحاور العلم التي جرى تحديدها، وقد تم ترتيب هذه البحوث في مدخل تأسيسي يتلوه أربعة محاور:

أما المدخل التأسيسي فجاء بعنوان (**تأسيس علم التفسير؛ أسبابه وأهميته، مع طرح مقاربة نظرية للتأسيس**): وهو بحث اشتغل ببيان علة ضرورة تأسيس علم التفسير وبيان فراغ الساحة العلمية منه وبيان أسباب الحاجة إليه، وكذلك توضيح طبيعة قضية هذا العلم وموضوع اشتغاله، وبيان انسجام هذا الموضوع مع شرط علمية العلوم، وذكر بعض مبادئ العلم وطبيعة محاوره التي انسبكت في خمسة محاور؛ هي: (**تاريخ الممارسة التفسيرية - مؤلفات التفسير – التفسير**[1] **- مدارس المفسرين - المفسرون**).

وأما المحور الأول في الكتاب (تاريخ الممارسة التفسيرية) فجاء فيه بحث بعنوان

(1) ويلاحظ أننا في الكتاب لم نفرد هذا المحور (التفسير) بدرس خاص، ولذا جاءت محاور الكتاب أربعة فقط، وإن كنا قدمنا بشأنه بعض النظرات في معالجاتنا لبقية المحاور.

(**تحقيب الممارسة التفسيرية؛ قراءة في التحقيب المعاصر، وتحقيب معياري مقترح**): وقد ناقشت فيه التحقيب المعاصر القائم للممارسة التفسيرية وطرحت تحقيبًا جديدًا؛ ليكون مرتكزًا لضبط مراحل العمل التفسيري عبر التاريخ.

وبالنسبة للمحور الثاني (مؤلفات التفسير) فجاء فيه بحث ومقالة، أما البحث فكان بعنوان (**تصنيف التفاسير تفسيريًّا؛ قراءة في التصنيفات المعاصرة، مع طرح تصنيف جديد**): وفيه ناقشت منجز تصنيف التفاسير تفسيريًّا وبحسب طبيعة اشتغالها العلمي في التفسير، وبينت ما يعتور هذه التصنيفات من إشكالات منهجية تحول دون إمكان الاعتماد عليها، وطرحت معيارًا يمكّن من تصنيف التفاسير تفسيريًّا ودللت على وجاهته المنهجية بصورة نظرية وتطبيقية من خلال تصنيف عدد معين من التفاسير في ضوء هذا المعيار. وأما المقالة فجاءت بعنوان (**معيار تقويم أهمية كتب التفسير في التفسير؛ تحرير وتأصيل**)، وفيها اعتنيت بتحرير معيار منهجي ترتد إليه المفاضلة العامة وبيان أشد كتب التفسير أهمية في التفسير.

وبخصوص المحور الثالث (مدارس المفسرين) فجاء فيه بحث بعنوان (**بناء المدارس التفسيرية للمفسِّرين؛ تصوّر منهجي لبناء المدارس التفسيرية للمفسِّرين**): وقد بينت في هذا البحث أنّ المدارس التفسيرية يجب أن تختصّ فقط بمسالك الكشف التوليدي للتفسير، وأن هناك فراغًا في ضبط هذه المدارس وإشكالات منهجية في محصول الدرس في اتجاهات التفسير ومناهجه، وطرحت تصورًا منهجيًّا لكيفية الخطو لبناء المدارس التفسيرية للمفسرين، وبينت نجاعة هذا التصور بصورة نظرية وتطبيقية من خلال ذكر بعض المدارس التفسيرية للمفسرين في ضوء معطيات هذا التصور.

وأما المحور الرابع (المفسرون) فاشتمل على بحث بعنوان (**بناء الرُّتَب العِلْمِية للمفسّرين في التفسير؛ الأهمية والآفاق، مع طرح تصوّر تأسيسي للسَّيْر في دراسة الرُّتَب العِلْمِيّة للمفسِّرين**): وفيه بُيِّنَت أهمية دراسة الرتب العلمية للمفسرين في التفسير، وبيان وجوه الخلل المنهجي في مسار طبقات المفسرين بصورته القائمة في التراث، وطرح تصور لضبط لوازم السير البحثي في دراسة رتب المفسرين، وتقديم خارطة

عملية للطبقات العِلْمية للمفسرين والموازنة بين هذه الطبقات، وغير ذلك.

إننا من خلال هذه البحوث نرى أننا قد اجتهدنا في بلورة العلم وأسسناه بصورة مناسبة إلى حد كبير، وبديهي أن هذا التأسيس الذي أسسناه هو فتح باب لا غير، والمحاور التي ذكرنا للعلم تحتاج لاشتغال بحثي موسع جدًّا فيها حتى يستوي العلم وينهض بغاياته.

لقد قامت في رحاب الدرس التفسيري بعض الجهود البحثية التي كرست جملة مداخل أضحت مقررة مع الوقت ويُنطلق منها عادة في حركة البحث المتعلقة بالتفسير والنظر لممارسته والتعاطي مع قضاياها؛ كالنظر لتاريخ العمل التفسيري ومراحله وطريقة تصنيف مؤلفات التفسير وتقسيمها، وغير ذلك، **والكتاب بصورة أو بأخرى اشتباك نقدي مع هذه المداخل ومعطياتها وتدليل على قصورها وخللها، ومحاولة تقديم عدة مداخل تأسيسية جديدة ومتكاملة في النظر للعمل التفسيري، أي: محاولة التأسيس لنظر جديد في التعاطي مع ممارسة التفسير في ميدانها العملي التطبيقي**، ولا شك أن هذه غاية كبيرة جدًّا، ولكن حسبنا أننا حاولنا وقطعنا شوطًا نظنه فاتحة طيبة، كما أننا اجتهدنا في التأسيس المنهجي المفصل لما فعلناه وقدمناه من نقاشات واجتهادات؛ ليسهل التعاطي معه والبناء عليه.

وجدير بالنظر أن هذه المواد التي حواها الكتاب كنت قد نشرتها قبلُ بصورة مفردة متباعدة على موقع تفسير للدراسات القرآنية، وبغير هذا الترتيب الذي جاءت عليه في الكتاب، إلا أنني عدت إليها وتأملتها من جديد، ورتبتها وفق التصور البنائي الذي تحرر عندي للعلم، وهذّبتها واختصرت بعض الأمور فيها بما يتناسب مع نشرها المجمّع، وكذلك عدّلت بعض عناوينها بما رأيته أولى في التعبير عن اشتغالها، وأيضًا أدخلت عليها تنقيحات وتعديلات كثيرة فرضها إعادة النظر والتدقيق في المعالجات التي انشغلت بها هذه البحوث، وكذلك ما تحرر عندنا في بعض الأمور الخاصة بأنساق العلوم، ومن ثم كان حضور هذه البحوث في هذا الكتاب هو الحضور الأشد تدقيقًا وتحريرًا.

وإني لأشكر مركز نماء على عنايتهم بنشر هذا الكتاب الذي نسأل الله تعالى أن يكون مفيدًا في تجلية الطرح التأسيسي الذي قمت به لعلم التفسير، ومعينًا على تثوير النقاش في شأن هذا العلم والكثير من القضايا والإشكالات الخاصة بممارسة التفسير مما بحثه الكتاب وأشار إليه، والله الموفق.

خليل محمود اليماني

Khalilalyamany2010@gmail.com